

رسائل ابن عربي

الشيّخ الأكبر محيي الدّين محمّد بن علي بن محمّد بن أحمد
ابن عربي الحاتمي الطّائي
المتوفى سنة ٦٣٨هـ

وضع حواشيه
محمد عبد الكريم النمري

١ - كتاب الفناء في المشاهدة
٣ - كتاب الألف، وهو كتاب الأحدية
٥ - كتاب أيام الشأن
٧ - كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام
٩ - رسالة القسم الإلهي
١١ - كتاب الأزل
١٣ - كتاب الإسرا الى مقام الأسرى
١٥ - رسالة لا يعوّل عليه
١٧ - كتاب التراجم
١٩ - رسالة الانتصار
٢١ - كتاب المسائل
٢٣ - كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار
٢٥ - كتاب حلية الأبدال
٢٧ - كتاب الوصية



منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

كتاب الأزل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الله مفتح الأبواب

الحمد لله الدائم، الذي لم يزل عاطف الأبد المعقول على الأزل الذي أنطق ألسنة عباده بالأزلية فتنة فثبت بها من ثبت وزل بها من زل، وأظهرها بين سمواته أمراً يرقى ويتنزل، والصلاة على من آثر ربه على هوى نفسه فاعتزل، فأسرى به إليه وأنزله لديه خير منزل فخلع عليه خلع الاختصاص المخصوص بالنسيب والغزل وعهد إليه أن يكون بينه وبين ربه صورة الجمال سفيراً ثم نزل فكانت الصورة الدحيية التي كان جبريل فيها عليه ينزل والسلام عليه ما عدلت الكواكب السيارة عن النزول برامج ونزلت بأعزل.

أما بعد فإن الناس قد أجرى الله على ألسنتهم لفظة الأزل وينعتون بها الرب سبحانه فيقول الأزلي وكان هذا في الأزل وعلم هذا في أزله ومثل هذا التصريف وأكثر اللافظين بها لا يعرفون معناها ولو سئلوا وحقق معهم البحث فيها زالت من أيديهم، وطائفة من النظار توهموا فيها أعني لفظة الأزل إن نسبتها إلى الله نسبة الزمان إلينا فهو في الأزل كما نحن في الزمان فيقولون قد كان الله متكلماً في الأزل بكلامه الأزلي وإنه قال في الأزل: اخلع نعليك لموسى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين لمحمد عليهما السلام وما أشبه ذلك.

وطائفة أخرى تخيلت فيه أنه مثل الخلا امتداد معقول كما الخلا امتداد في غير جسم كذلك الأزل امتداد من غير توالي حركات زمان فكأنه تقدير زمان كما جعلوا أن السمٰوات والأرض وما بينهما خلقهما الله في ستة أيام مقدرة لا موجودة على تقدير لو كانت ثم أيام كان هذا المقدار.

وهذا كله خطأ فإن السمٰوات والأرض وما بينهما إنما خلقهم الله في هذه الستة الأيام الموجودة المعلومة عندنا وأنها كانت موجودة قبل خلق السماء والأرض فإن السمٰوات السبع والأرضين ليست الأيام لها وإنما الأيام لفلك النجوم الثوابت وقد كان قبل السمٰوات دائر فاليوم ودورته غير أن النهار والليل أمر آخر معلوم في اليوم لا نفس اليوم فحدث النهار والليل بحدوث السمٰوات والأرض لا الأيام والله ما قال إنه خلقها في ستة أنهار ولا في ست ليال وإنما ذكر الأيام.

وأما الذين توهموا أنه تقدير زمان والذين قالوا: امتداد إلى غير أول فيقال لهم: لا يخلو هذا الأزل الذي نسبتموه إلى الله أن يكون وجوداً أو عدماً فإن كان عدماً فقد أرحتمونا فإن العدم نفي محض ويلزمكم شناعة وهو أنكم نعتم الباري بالعدم والعدم لا ينعت به وهو محال على الله، وإن قالوا: إن الأزل وجود ليس بعدم يقال لهم: فلا يخلو إما أن يكون نفس الباري أو غيره فإن قالوا: هو نفس الباري فقد أخطأوا في الاسمية حيث لم يطلقها الباري على نفسه.

وإن قالوا: هي غيره فلا يخلو إما أن تكون قائمة بنفسها أو بغيرها فإن كانت قائمة بنفسها بطلت الوحدانية لله تعالى وإن كانت قائمة بغيرها فلا يخلو ذلك الغير إما أن يكون نفس الباري أم لا فإن كان نفس الباري فهي له كعلمه وقدرته صفات معنى وتتصف بالأزلية كما يتصف عندكم العلم القديم وسائر الصفات بها فيرجع الأزل منعوتاً بالأزل والكلام في الأزل المنعوت به الأزل كالكلام في الأزل الأول ويتسلسل.

وإن قالوا: إن الذي يقوم به الأزل غير نفس الباري فقد أثبتوا قديماً آخر وبطل دليل الوحدانية بما يقوم عليه من البرهان بعد السبر والتقسيم ومحال آخر وهو أن ذلك الموجود الذي قام به الأزل هو الموصوف بالأزلي لا الباري لأن المعاني إنما توجب أحكامها لمن قامت به فبطل وصفهم الباري بالأزل وثبت أن ما ثم أزل أصلاً، وبعد هذا فإني أرجع وأقول إن الأزل موضع مزلة قدم النظار وقد أغفلها أكثر الناس وكان الواجب أن لا يهملوا جناب الحق ولا يطلقون عليه من الألفاظ والنعوت إلا ما أطلقها على نفسه في كتابه أو على لسان نبيه فانظر يا أخي نور الله بصيرتك ما أعجب هذه اللفظة كيف صار معناها مطابقاً لما اشتقت منه فإن الأزل من أوصاف البهائم الذي يكون منهرقاً من خلف سائلاً بحيث لا يقبل الركوب كالزرافة وما قاربها لأنه مشتق من زل إذا زلق ومعناه لا يثبت فكذلك الأزل مشتق من هذا فإنه لا يثبت وتزل فيه أقدام الناظرين إلا من رحم ربك فكثرة ما تزل الأقدام فيه يسمى أزلاً.

وأما الذين يقولون: إنه تعالى تكلم في الأزل بكذا فإنه يلزم القائلين به شناعات ولا يحصل بها علم إلا بجهلهم.

وإنما ينبغي أن يقال في مثل هذا أن كلام الله صفة له قديمة لا تكيف فإن الكيفية في هذا الفن من العلم محال وإنما يقع العلم بهذا الفن بعد تعلق الإدراك إن كان من قبيل المرئيات فبالرؤية أو من قبيل المسموعات فبالسمع أو من قبيل المشمومات فبالشم وهكذا سائر الكيفيات فإذا ثبت أن الله موصوف بالكلام وإن الكلام غير محدث فلا يحتاج ذلك إلى أزل ولا إلى غير أزل فنقول: لما خلق الله موسى وكان من أمره ما كان وأبصر النار وقصده ناداه الحق في ذلك الوقت في حق موسى عليه السلام لأنه يتقيد بالزمان والباري غير متصف بالوقت والزمان وقال له بكلامه القديم: اخلع نعليك وغير

ذلك وسمع موسى عليه السلام الكلام المنعوت بنفي الأزلية من غير تكييف لنا ولا تحديد بل كما ينبغي أن يكون عليه القديم من الجلال فالمتكلم في الزمان والسامع في زمان.

وليس من يقول: إن الباري قارن كلامه حركة زمانية فإن موسى مقيد بالزمان بأولى ممن يقول بعكس هذا وأن موسى سمع في غير زمان لأن المتكلم ما تكلم في زمان ولحوق موسى بالتنزيه أولى من لحوق الباري بالتشبيه وقد قيل:

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه فكان بلا كون لأنك كنته

فقد لحق العبد هنا بالتنزيه لما تحقق سره بالحق وتعلق به بحكم التنزيه تنزه السر عن عالم الكون لأنه فانٍ عنه مشاهد لما ظهر إليه من باريه وقال الآخر:

تسترت عن دُهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت وأين مكاني ما درين مكاني

فهذا الآخر قد لحق بالتنزيه وتعالى عن الزمان وزاد على الأول بدرجة وهو أن الأول فانٍ وهذا قال: عيني ترى دهري وليس يراني فإن الحق يرانا ولا نراه فهذا قد تحقق بالحق.

ومما يؤيد هذا الباب رؤيتنا للباري سبحانه فإنا لا نشك أنا بعضنا من بعض من جهة وأن الباري سبحانه يرانا اليوم ونحن مقيدون بالجهات ولا ترجع إليه جهة من حيث إنه يرانا كذلك لو كشف غطاءنا عنا لأبصرناه في غير جهة على ما هو عليه من نعوت الجلال والكمال ونحن في وقت إدراكنا إياه من جهة من بعضنا في بعض لا منه وهكذا الزمان والمكان وكل ما يتعلق بهذا الباب وأنا منا لسنا من جهة والعالم كله ليس من جهة من نفسه فلا يحتاج بعد هذا التقرير أن نقول تكلم في الأزل فقال: اخلع نعليك على أنها ستكون فلما بلغ الوقت تكلم بأنها كائنة ولما كان اليوم قالها على أنها كانت وهذا كله على الحقيقة إنما هو العلم ليس الكلام وفي هذا من الشناعات وسوء العبارة ما لا يخفى على عاقل.

وأما المحققون فإن الأزل عندهم حكمه حكم القدم وهو نفي الأولية فهو نعت سلبي ليس بصفة أصلاً فالأمر فيه هين قريب ويتبين ما نذكره في إيجاد العالم عن عدم فإياك أن تتوهم كما توهمه الضعفاء من أن العالم كان يجوز أن يوجد قبل الوقت ويعني تقدير الوقت الذي أوجده فيه ويجوز أن يتأخر عنه فاختصاصه بذلك الوقت دون ما يجوز عليه يفتقر إلى مخصص فلا بقولهم قبل وبعد ولا زمان ولا تقدير زمان لأن التقدير في شيء فيه ما فيه وما ثم شيء إلا الله فمن كل وجه وحال يكون هذا خلفاً من الكلام.

والذي ينبغي أن يقال أن الباري موجود بنفسه غير مستفاد الوجود من أحد فإنه ليس إلا هو سبحانه والعالم موجود به مستفاد الوجود منه لأنه ممكن بذاته واجب الوجود بغيره من حيث إنه مستفيد والباري واجب الوجود لذاته غير مستفيد وبأن العالم عدم والعدم عين المعدوم لأن العدم أمر زائد على المعدوم ولا أن الوجود أمر زائد على الموجود بل العدم نفس المعدوم والوجود نفس الموجود وإن كان يعقل الوجود ولا يعقل ماهية الموجود فيتخيل أن الوجود ليس عين الموجود بل هو حال من أحوال الماهية ولا تعرف الماهية حتى تعرف من جميع وجوهها وتمتاز كما إذا قلت في الجوهر أنه شيء فلا نشك أن كونه شيء من ماهيته ولكن ما نعقل ماهية بقولنا شيء فقط حتى نقول إن كنا أشاعرة أنه شيء قائم بنفسه متحيز قابل للعرض فهكذا الوجود والعدم فليس بين وجود الحق والخلق امتداد كما يتوهم ولا أنه بقي كذا وكذا ثم أوجد فإن هذه كلها توهمات خيالية فاسدة تردها العقول السليمة من هذا التخبيط فلا بينية عند الحق ولا عند الخلق إن في الإيجاد إنما هو ارتباط محدث بقديم أو ممكن بواجب أو واجب وجود بغير واجب الوجود بذاته ليس إلا.

وربما تعترض علينا في هذا الأزل من حيث إنا من محققي الصوفية فنقول: قد قال بعض أئمتكم ممن تشهدون له بالسبق في طريق الحقائق حين ذكر في كتابه مراتب العباد والمريدين والعارفين والعلماء وقال في شأن الله: إنه سبحانه ليس بينه وبين عباده نسب إلا العناية ولا سبب إلا الحكم ولا وقت غير الأزل فقد أثبت الأزل، قلنا تحقق أيها المعترض قول هذا المحقق أن الخطاب يكون من البليغ على حسب ما تووطي عليه في العالم حتى يفهم السامع من لغته واصطلاحه ما يريد فنفي الوقت وأثبت الأزل والأزل عبارة عن نفي الأولية والنفي عدم محض فما ثم شيء ولا ثم ثم فينتفي الأزل بما يعقل من معناه مثل القدم فالمعرفة بما يعرف الناس المحققون من معنى الأزل لهذا جاء به ولو عرف أنه يتوهم منه المحققون أنه امتداد في لا شيء أو زمان مقدر يعطي بينية بعيدة بين الخلق والحق فلما كان محصول الأزل النفي وهو عدم لذلك لم يبال به.

فصل

ثم نرجع ونقول بعد هذا التقرير: هل كان في الأزل مع الله أحد أم لا فقالت طائفة القدماء: أربعة، الباري والعقل والنفس والهيولى[1] وقالت طائفة القدماء: ثمانية، الذات والسبع الصفات، وقالت طائفة: ما ثم قديم إلا واحد وهو الحق تعالى وهو واحد من جميع الوجوه ولذاته حكم يسمى به قادراً وهكذا كل ما جعلوه هؤلائك صفة.

(١) الهَيُولَىٰ والهَيُولى: (عند القدماء): المادة التي خُلقت منها أجزاء العالم المادية، وهي مادة ليست لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكّل في شتى الصور. والنسبة إلى الهيولىٰ: هيولي وهيولاني.

وقالت طائفة بقول هذا وزادت معنى ذلك المعنى يسمى حقيقة الحقائق وهي لا موجودة ولا معدومة ولا محدثة ولا قديمة ولكنها في القديم قديمة وفي المحدث محدثة تعقل ولا توجد بذاتها كالعالمية والقائلية وما أشبه ذلك. فإذن فما ثم في الأزل الأوحد معنى أنه ما انتفت عنه الأولية إلا واحد إلا أنا فإنه لنا في الأزل حكم بوجه ما، فإنا قد علمنا أنا معلومون لله تعالى ولا عين موجودة لنا وإن الأشياء لها أربع مراتب في الوجود. وجود في العلم ووجود العين. ووجود في الكلام، ووجود في الرقم قلنا بهذا الحكم في الأزل مرتبتان في الوجود، المرتبة الواحدة مقطوع بها وهي مرتبة وجودنا في علمه والأخرى غير مقطوع بها على ما قدمنا وهو وجودنا في الأزل من كونه قائلاً أو متكلماً وهنا نظر وقد ذكرنا منه طرفاً فيما تقدم من هذا الكتاب.

وقد ذكرنا هذا الفصل مستوفى في محققاً في كتاب الجداول والدوائر لنا فلينظر هناك فإن هذه العجالة تضيق عن بسط هذه المسألة والمقصود من هذا الكتاب إنما هو الأزل والأزلي لا غير فنحن أزليون بهذا الاعتبار لا أن أعياننا موجودة أزلاً. وإذ قد تقرر من لسان العلم في الأزل ما فيه غنية فلنرجع إلى لسان الأسرار فيه من باب التوسع فأقول: إن أفلاك الأزل سباعية التي للحق وذلك عند حلك تركيب هذه الحروف إلى بسائطها وهي ثلاثة أحرف لكل حرف حضرة والحضرات ثلاثة غير أن اللام عندنا مركبة من حرفين، فيكون على هذا أربعة مثل الله وتطابق الاسم والنعت بوجود الألفين واللام والأكثر مع الجلالة، وإنما قلنا في اللام أنه مركب من أجل رقمه فإنه من ألف ونون، فدائرة اللام مع عطف اللام عليها دائرة كاملة وهي دائرة الكون ولما لم يظهر من دائرة الكون إلا القطر لهذا يظهر الزاي بصورة النون ولم يظهر بصورة الميم والألف من حيث الرقم للذات الإلٰهية في كان الله ولا شيء معه والزاي بينها وبين اللام حجاب العزة بينه وبين خلقه. ولهذا أظهر الزاي في الشكل على صورة النون إلا أنه يقصر عنه والسبب الموجب لذلك أن النون وهو حرف اللام لا يبدو ولا تناظر منه للزاي إلا قدر شكل الزاي فلهذا لم يكمل الزاي كمال النون لأنه حجاب ولو كمل مثل النون لم يكن له ما يحجب فتبطل حقيقة الحجاب والحجاب لا بد منه فلا بد من شكل الزاي أن يكون على ما ظهر ولما وقع الحجاب ربما بطل الكون ولا بد من الحافظ فإنه لولا الحفظ ما بقي الكون وقد نبه الله تعالى أنه حافظ خلقه بنفسه فقال: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقال: هو حفظهما فهو عين الحفظ فهو عين الحافظ فكانت الألف التي هي قائمة اللام وعلى رأس النون الذي هو جوف اللام ظل الألف الأولى من خلف حجاب العزة فالكون محفوظ بالظل ولما كان ظله ظهر على صورته فكأنه هو والظل كناية عن الرحمة نقول: أنا في ظل فلان.

وقال تعالى: المتحابون بجلالي اليوم أظلهم بظلي يوم القيامة[١] وأما الألف الأولى إذا كانت في اللفظ فهي ألف العظمة وتكون عند ذلك همزة ويكون حجاب العزة صادراً منها فإن الزاي في بسائط الهمزة فإذا كان ألف العظمة كأن قائمة اللام ليس بظل وذلك لأن الألف لا يكون ظلاً للهمزة لأنها على غير صورتها ومن شرط الظل الصورة ولهذا أقول في ظل العرش أنه ظل الرحمة وأن الرحمة اسم من أسماء العرش فتكون قائمة اللام إذا بهذا النظر حافظة من الأمر كما قال تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي من أجل أن أمرهم الله وقال: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ١٣٥].

ثم إن العالم ثلاث مراتب: علوي وسفلي ومتوسط بينهما وما ثم عالم رابع وأن المنازل التي تنزل فيها الأرواح المسخرة السيارة ثمانية وعشرون منزلة وهي النطح، والبطين، والثريا، والدبران[٢] وإيسان والحية والذراع، والنثرة، والطرف، والجهة، والخرتان، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزبانا، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر، والرشاء، وكل منزلتين وثلث منها تسمى برجاً فهي غير البروج، والأرواح السيارة التي قد جعل الله بيدها زمام تدبير العوالم سبعة وهي زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، والكاتب، والقمر.

وبترحيل هذه الكواكب في هذه المنازل ربط الله الانفعالات في هذه العوالم فكان جماع العالم ثمانية وثلاثين والأزل ثمانية وثلاثين فظهر العالم على صورة الأزل من طريق العدد والأزل من نعوت الله فهو على صورته والله خلق آدم على صورته والعالم على صورة آدم فارتبط الكل بالكل وظهرت الأربعة التي هي من أشرف المنازل وهو العالم والإنسان والأزل والله فتحقق ما ذكرناه فإنه من لباب المعرفة الإلهية.

ثم إنه في الأزل نكتة عجيبة وهو أن العالم لما ظهر بدعوى الظهور أراد الحق أن يطمسه بأزليته فلا يبقى للمحدث أثر فتجلى أزل ففي العالم بظهور الألف من أزل خاصة وبقي زل في حق العالم كأن سائلاً سأل: اين العالم؟ فقيل: له زل بظهور ألف الذات والألف هي المطلوبة من الأزل خاصة من أجل الأحدية.

تنبيه

اعلم أن سر الأزل وروحه والذي به وجود الأزل إنما هو أنا وهكذا إخوان الأزلية كالقديمية والأولية والآخرية والظاهرية والباطنية وهذه كلها لولا أنا ما كان منها شيء فإن

(١) أخرجه مسلم (برّ ٣٨)، والترمذي (زهد ٥٣)، والدارمي (رقاق ٤٤)، والموطأ (شعر ١٣) وأحمد بن حنبل ٢/٢٣٧، ٣٢٨، ٣٣٨، ٣٧٠، ٥٣٣، ٥٣٥، ٣/٨٧، ٤/١٢٨، ٣٨٦.

(٢) الدَّبَرانُ: نجم يَدْبُرُ الثريا أي يتبعها، وهو من منازل القمر.

صحت هذه النعوت له أزلاً فإنا هناك أزلاً بلا أزلية وإن لم تصح هذه النعوت ولا عيني فلست هناك وهذا الفرقان بين أسرار النعوت وأسرار الصفات والأسماء فالأسماء إنما هي موضوعة لله لا له على الأشخاص من غير معنى يكون في الشخص منها مجردة عن هذا كله إلا عن العينية.

فإن عقل من الاسم معنى في المسمى يدل عليه الاسم فليس هو المقصود بالاسم لأن أصل الوضع في الأسماء إنما هو لتمييز عين المسمى من مسمى آخر خاصة واتفق أن هذا الاسم يدل على معنى في المسمى يستحق به هذا الاسم عير مقصود للواضع.

وقد تكون أسماء أجناس كالإنسان والملك والحيوان والفرس والمراد بهذا الجنس وكزيد وجعفر وهذه الشجرة فهذا من أسماء أعيان الشخصيات والأوصاف إنما هي لمعان تكون في الموصوف تسمى صفات كالعالم اسم من قامت به صفة العلم وهو وصف للعالم ليس باسم واسمه مثلاً علي أو زيد أو خالد فهذا هو اسمه الذي يدل على عينه خاصة فإن سمي بعالم ابتداء كما سمي يزيد وعلي فليس هو بمقصود للواضع إن سماه عالماً لقيام صفة العالم أو لتوهمه أنها تكون فيه أو لأنه حيوان ناطق فيعلم علماً ما فإنا نجوز أن نسمي عالماً الحجر والشجر لا بمعنى أنها تقبل صفة العلم ولا هي فيها فمتى ما توهمها واضع الاسم فليس بمسم على الحقيقة وإنما هو واصف وهكذا في كل اسم يعطي الاشتقاق ويدل على معنى يقوم بالمسمى فهو وصف في الحقيقة والمسمى واصفاً والمراد الصفة والعين من حيث تلك الصفة لا من حيث ذاتها فهذا هو الفرق بين الاسم والصفة وهكذا ينبغي أن تكون أسماء الباري الخاصة أن تدل على مجرد الذات كالله والهو إذ لم يتفق ويصح أن يكون غير مشتق من شيء وكذا هو عند المحققين ولهذا جعلوه الاسم الأعظم لأنه لا يتقيد بمعنى ما في الذات ولا يحكم ما من أحكام الذات وإنما دلالته على عين الذات بخلاف اسمه القادر فإنه يدل على معنى في الذات يسمى القدرة أو حكم من أحكام الذات في مذهب النفاة وهكذا الحي والمريد والسميع والبصير والكريم والرحيم ولهذا قال الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨] لإزالة اللبس عند السامع وإذا ذكر له وهو غائب وكذلك الكائنات لهذا السبب لما وقع الاشتراك في الأسماء زال المقصود من الاسم فزادوا النعوت والكنايات مثل هذا وغير ذلك والباري سبحانه لا يشترك في شيء مع خلقه ولا كان ثم آلهة ولا يصح فكانت أسماء حسنى من حيث إنها الأحكام عنده أو لمعانٍ فيها تسمى صفات ولا شك أن هذا الاسم أعلى من ذلك الاسم الذي يطلب العين عندنا خاصة ثم لا يخلو توهمك في أسمائه الحسنى هل تريد بكلامه أو كلامنا فإن أردت الأسماء التي سمى بها نفسه بكلامه فتلك لا يقابلها شيء ولا تتصف بشيء ولا يسمي نفسه بها بشيء زائد على الذات وإن أردت الأسماء الواردة في الكتب المنزلة التي أطلقها على نفسه في عالم العبارات

والألفاظ بوجودنا فلا بد من نعت الحسنى لها ولا تشك أن أسماءه له أزلاً من كونه متكلماً خاصة لأنها من أحكام الكلام، وباب الأسماء يطول الكلام فيه وقد أفردنا له كتاباً.

وأما النعوت والفرق بينها وبين الأسماء والأوصاف أنها ألفاظ لا تدل على معنى قائم بذات المنعوت ولا هي بأسماء فإنها تكون للمنعوت بها وهو مسمى باسم يعرف به وإنما النعوت ألفاظ تدل على الذات من حيث الإضافة وهكذا نسميها أسماء الإضافة كالأول فإن نفي الأولية عنه واجب لا بد من ذلك فإذا نعتناه بالأولية فلا بد من وجود أعياننا وكالقدم عند مقابلة حدوثنا فإن الباري وجود مطلق لا أول له ولا آخر هو الهو على الحقيقة.

وكذلك الأزل إنما نعت به من أجل الزمان في حقنا وتوهمنا الامتداد في كان الله ولا شيء معه بفقد أعياننا ليس غير ذلك وكذلك الظاهر والباطن في حق من ظهر له وبطن عنه والباطن أتم في النعت من الظاهر فإنه ظاهر لنفسه ولا يكون باطناً لنفسه فإنه محال فمثل هذه الأسماء تسمى عندنا وعند المحققين نعوتاً لا أسماء ولا أوصافاً لا فالأزلي نعت لا صفة كالقديم وشبهه من أسماء الأوصاف.

وقد يتوهم العاقل أنه لا بد من معنى يعني أنه لا بد أن يعقل من هذا النعت أمر يرجع إلى الماهية إن لم تكن تعطيه الماهية فلا يجوز هذا النعت ولهذا هو عندنا النعت أكمل من الصفة فإن الصفة لا تعطي ماهية الموصوف والنعت يبين عن الماهية وهو أيضاً أرفع من الاسم على ما قررنا من الأسماء.

وقد شمل لفظ الأسماء، الأسماء والنعوت والصفات فالأسماء أولاً لأنها للعين من غير أن تعطي من الماهية شيئاً ولا من معانيها القائمة والنعت يتلوه لأنه يدل على الماهية بوجه الوصف آخر أنه يدل على معنى في الذات عند مثبتي الصفات ويدل على حكم عند النفاة فقد مشى في الأزلية ما فيه غنية ومقنع لكل ذي قلب سليم.

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين